



آفات اللسان في هدم قيم الإنسان

خلاصة خطاب الشيخ محمد المنصور سي في مناسبة الزيارة العامة

٢٠١٢م



الاعتناء

مدرسة الشيخ محمد المنصور سي - تواوون

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾^١
وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الْقَائِلِ فِي حَدِيثِهِ :
« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرَةِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ »^٢ وَ عَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي
الْفَضْلِ الْعَمِيمِ وَالْجَاهِ الْعَظِيمِ .
وبعد؛

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفَاضِلُ

إن الله تبارك تعالى كرم الإنسان ورزقه من فضله ما لا يستطيع الشكر عليه، وفضل على
جميع مخلوقاته بنعمة العقل الذي يمتاز به عن سائر الحيوانات، ثم صورته فأحسن
صوره وأودعه جوارح ليكتسب بها رضاه بتسخيرها فيما يرضي الله ورسوله - ﷺ -،
بعيد عن مراتع سخطه، فأصبح الإنسان كائناً يستحق الثواب بامتثال أوامر ربه ويستحق
العقاب بترك أوامره.

ومن بين تلك الجوارح اللسان؛ ذلك العضو الصغير الحساس الذي تصلح به أمور
المرء وتفسد به دهر الداهرين. ولله در القائل:

واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرء يسلم باللسان ويعطب

^١ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؛ آيَةُ: ٨٢ :

^٢ صحيح مسلم / رقم الحديث ٤٧ / ج ١ / ص ٦٨ .

فاللسان مسؤول عن تدآب ذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول الطيب كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^٣.

بيد أن الأمر-اليوم- انقلب على عقبيه، وانتكس رأسا على قدم؛ حيث لوحظ في الآونة الأخيرة انتشار آفة هذا اللسان واستشراءها في كثير من أبناء البلد، يتقاذف الناس بالشتائم ويتبادلون من القول أسوأه ومن الفعل أبشعه بعجرفة وغطرسة داهية.

ولا شك أن هذه الظاهرة الدابة في مجتمعاتنا تعبر عن البعد الروحي المتدنّي، وهبوط الأخلاقيات والقيم الدينية المعهودة في ربوعنا-قديمًا-، من قِمَّتِهَا الروحية إلى أقصى دراجات الحضيض.

وقد جمحت بهم حدة هذه الآفة التي لا تُرضى لها عقبي، إلى اعتناق جرأة فادحة ووقاحة عارمة في الطعن المباشر في أَعْرَاضِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَ الْمُسْلِمِينَ عامة بالتهجم عليهم بألفاظ نابية يستحي من سماعها اللبيب، وتهدم باستمرارها قوائم المجتمع.

ومعلوم أن الدين جاء لحفظ الضروريات الخمس - وضمنها العرض والدين - وهي كما جمعها الناظم السيّدنا إِبْرَاهِيمُ اللَّقَانِي فِي جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ:

وَحِفْظُ دِينٍ ثُمَّ نَفْسٍ مَلَّ نَسَبٌ وَمِثْلُهَا عَقْلٌ وَعِرْضٌ قَدْ وَجَبُ

فإطلاق البعض ألسنتهم على أعراض الآخرين تهديد مباشر للأمن الوطني، وضربة مسددة لهدم ركنين من أركان الضروريات الخمس، التي يتحتم على الكائن البشري حفظها لقدسيتها واحتواءها روح الاستقرار الذي أمرنا الله الحفاظ عليها حرصا علينا،

فاطر: ١٠.

^٤ من جوهر التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة، منشورات موقع عبد الكريمتان، ص ٨

حيث يقول: ﴿وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^{٥٦} ويقول أيضا ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^{٦٤}

لهذا يتوجب علينا التنبيه إلى أن الإنسان إذا فقد دينه فقد فقد حياته جملة وتفصيلا، وقد ورد في الحديث قوله -ﷺ-: « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ، لَا حَالِقَةَ الشَّعْرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأَكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^٧.

والله -سبحانه وتعالى- أعلن الحرب ضد كل من يعادي أوليائه، ففي الحديث القدسي يقول: «... مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...»^٨ وإذا كان العدوان المجرد عن السب والطعن في أعراضهم يوجب هذا اللعن من الله، فما بال الذين يسبونهم على الدوام ليلا ونهارا، ويضعون على أعراضهم الطيبة ما لا يليق توجيهه إلى أحد من الخلق، بله عن أولياء الله الذين حضراتهم هي حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -ﷺ- وَحَضْرَتُهُ -ﷺ- هي حَضْرَةُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ مَوْلَانَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَائِلُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^٩

الأعراف: ٥٦.

المائدة: ٦٤.

^٧ الحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة. ط ١. سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

عدد الأجزاء: ٨/ ٢ / ص ١٩٠

^٨ صحيح البخاري / رقم الحديث ٦٥٠٢. ج ٨ / ص ١٠٥

^٩ النساء: ١٤٨.

أيها الإخوة الأكارم

هذه فاحشة لم ترضها بها سجية إنسانية أيا كان انتماءؤها الديني، وقد تؤدي المرء إلى الخذلان والشقاوة و سوء الخاتمة و مَرَضِ الْقَلْبِ، وإلى وَيَلَاتٍ لا نهاية لها في الدنيا والآخرة، ويكفي في ذلك دليلا أن الله يكره القول السوء. قَالَ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^{١٠}

وبهذه المناسبة نذكر الأولياء والمسؤولين دورهم في توجيه الشباب ومن نحا نحوهم من الكبار في تدآب القول السوء الدعوة إليه، والتهجم على أعراض أولياء الله الصالحين؛ علما بأن الفتنة إذا لم تُحَدَّ عَمَّتْ، يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَامًّا إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^{١١} وفي حديثه - ﷺ -
: {الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها}^{١٢}.

كما نذكركم بأن قَذْفَ الْحُرِّ الْمُسْلِمِ جَرِيْمَةٌ شَنِيعَةٌ شَدِيدَةٌ عُدَّتْ مِنْ أَشَدِّ وَ أَكْبَرِ الْجَرَائِمِ، لذلك قَدْ نَدَدَهُ دِينُنَا الْإِسْلَامِي بِشِدَّةٍ، بِدَلِيلٍ أَنَّهُ حُكِمَ عَلَى فَاعِلِهِ بِالضَرْبِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^{١٣}.

النساء: ١٤٨. ^{١٠}

الأنفال: ٢٥. ^{١١}

^{١٢} زين الدين محمد، ت: (١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط ١، سنة. الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٥٦. رقم الحديث ٥٩٧٥. ج ٤ / ص ٤٦١

عدد الأجزاء: ٦

النور: ٤. ^{١٣}

أيها الإخوة الكرام!!

أوصي نفسي وإياكم بالانضباط والتزام أخلاقيات الإسلام، ومراقبة جميع جوارحنا ما استطعنا، ولنتذكر -على الدوام- قبل أن نتكلم قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^{١٤} فاللسان يتحمل في الإنسان مسؤولية جسيمة، وقد نبهنا إلى خطورته مولانا الشيخ الحاج مالك سي في كتابه زجر القلوب حيث يقول:

لسانك إن أطلقت يأكلك إنه كليث السرى العادي الجريء وثوب^{١٥}

وورد في الحديث قوله -ﷺ- :

«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ؛ فَقَالُوا : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

(١) الشُّرْكُ بِاللَّهِ

(٢) وَالسَّحَرُ

(٣) وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

(٤) وَ أَكْلُ الرِّبَا

(٥) وَ أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ

(٦) وَ التَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ

(٧) وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^{١٦}

وَ قَالَ أَيْضًا : «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَ قِتَالُهُ كُفْرٌ»^{١٧}

ق: ١٨. ١٤

^{١٥} ديوان الشيخ الحاج مالك سي، بنسخ أبوبكر امبي، ٢٠١٢م. ص ٣٠٩

^{١٦} صحيح مسلم / رقم الحديث: ٨٩ / ج ١ / ص ٩١ - وفي البخاري الحديث رقم (٢٧٦٦) ج ٤ / ص ١٠.

^{١٧} صحيح البخاري، رقم الحديث ٦٠٤٤. ج ٨ / ص ١٥

الصفحة أو الرقم: | 48 خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ :

«لَأَنْ أَرْمِي رَجُلًا سَهْمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرْمِيهِ بِلِسَانٍ ، لِأَنَّ رَمِي السَّهْمِ قَدْ يُخْطِئُ وَلَكِنْ رَمِي اللِّسَانِ لَا يُخْطِئُ»^{١٨} كَمَا قَالَ شَاعِرٌ :

جَرَّاحَاتُ السَّنَانِ لَهُ الْإِتِّتَامُ وَلَا يُلْتَأَمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ
وَقَالَ الْآخَرُ :

نَفْسُكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْخَنَى كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْخَنَى شَرِيكَ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَإِذَا هَمَمْتَ بِنُطْقِ الْبَا طَلِ فَاحْعَلْ مَكَانَهُ تَسْيِيحًا
وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

« لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ فَإِنَّ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يُفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ »^{١٩}
فَأَنْبَهُ إِخْوَانِي بِتَجَنُّبِ قَذْفِ الْأَوْلِيَاءِ وَالطَّعْنِ فِي أَعْرَاضِهِمْ لِأَنَّ أَعْرَاضَهُمْ سُمْ قَاتِلٌ
كَمَا قَالَ وَالِدِي الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

فَقُلْ لِمَنْ يَهْجُو أَهْلَ مَوْلَانَا فَإِنَّهُ فِي هِلَاكِ دَائِمٍ بَانَا
فَالسُّمُّ يُضْمِي بِلا خُلْفٍ بِشْرِيَّتِهِ إِنَّ اللُّحُومَ لَسُمُّ قَاتِلٌ شَانَا

التخريج : أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)

^{١٨} (المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي ص. (١٣٧ / ١٤١)).

^{١٩} الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : الترمذي | المصدر : سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم : 2032 | خلاصة حكم المحدث : حسن

غريب | التخريج : أخرجه الترمذي

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ

إِنْ كُلَّ كَلِمَةٍ تَنْطِقُ بِهَا فَهِيَ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ وَ لِأَجْلِ ذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى رَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَهُ ، أَنْ يَقُولُوا الْقَوْلَ الْحَسَنَ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^{٢٠} وَ أَيْضًا : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾^{٢١}

وَ أَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا خَيْرًا أَوْ يَسْكُتُوا بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَمَمٍ صِفَاتِهِمْ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ :
قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ :

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرَةِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ »

وَ لِخُطُورَةِ اللِّسَانِ فَقَدْ ضَرَبَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ أَرْوَاعَ مِثْلِ فِي حِفْظِهِ ، فَهَذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، خَلِيفَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ . يُمَسِّكُ لِسَانَهُ ، وَ يَقُولُ :

« إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ »^{٢٢} وَ قد حُثْنَا جَدِي الشَّيْخُ الْحَاجُّ مَالِكُ سَيِّ بِذِكْرِ فَضَائِلِ حِفْظِهِ ،
فِي قَوْلِهِ :

وإن ما ترد عونا عليك بعزلة	وجوع وصمت إنه لنجيب
له سبعة الآلاف في الخير قُسمتْ	على سبع كلمات عداك خُطوب
نعم إنه زين وستر وقربة	وحصن وباب الاعتذار يجوب
مريح الكرام الكاتبين وهيبة	فنعم صموت خاشع وأديب ^{٢٣}

البقرة: ٨٣. ^{٢٠}

الإسراء: ٥٣. ^{٢١}

^{٢٢} مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، موطأ الإمام مالك. تح: بشار عواد معروف - محمود خليل. الناشر: مؤسسة الرسالة. سنة ١٤١٢ هـ. عدد الأجزاء. رقم الحديث

٢٢٠٧٨. ج ٢ / ص ١٦٦

^{٢٣} ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص ٣٠٩

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ

إن الإصلاح في الأرض مطلب رباني ولا تصلح الأرض إلا بصلاح قاطنيها الماشين على مَنَنِهَا، ومن شروط صلاح المرء التنحي عن جميع آفات اللسان، ومنها:

➤ الكَذْبُ

➤ القَوْلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ الْعِلْمِ

➤ شَهَادَةُ الزُّورِ

➤ السَّبُّ وَالسِّخْرِيَّةُ بِالْمُؤْمِنِينَ

➤ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

➤ الْغِيْبَةُ وَالْإِفْكُ وَالْبُهْتَانُ

➤ النَّمِيمَةُ

➤ الْكَلَامُ الْبَاطِلُ

➤ لَعْنُ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ

➤ اتِّهَامُ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ.

بناء على ذلك فإني أدعو نفسي وإياكم جميعاً إلى قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

تَفَرَّقُوا﴾^{٢٤}، ولنعلم بأن الدنيا دار فناء وليست دار بقاء، ولكل ما كسبت يده قال تعالى: ﴿

وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۖ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۖ ﴿٤١﴾

٢٥. ﴿

^{٢٤} آل عمران: ١٠٣.

النجم: ٣٩-٤١. ^{٢٥}

وَ فِي الْخِتَامِ: أَشْكُرُ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى اخْتِلَافِ انْتِمَاءَاتِهِمُ الرُّوحِيَّةِ وَ تَبَايُنِ
أَلْوَانِهِمُ الْخَلْقِيَّةِ وَ بُعْدِ أَوْطَانِهِمُ السَّكْنِيَّةِ وَ تَفَاوُتِ مَكَانَاتِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ. كَمَا أَهْنَيْ
بِشَكْلِ خَاصٍ هَذَا الْجَمْعَ الْحَاضِرَ بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى حُسْنِ اسْتِجَابَةِ النِّدَاءِ؛ نِدَاءِ جَدِّنَا
الشَّيْخِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ الْحَاجِّ مَالِكِ سَيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي قَوْلِهِ:
أَلَا يَا بَنِي هَذَا الزَّمَانُ دَعَوْتُكُمْ لِأَحْيَاءِ دِينٍ بِالْعُلُومِ أَجِيبُوا^{٢٦}

وَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْمَنْصُورُ سَيِّ، الْخَلِيفَةُ الْعَامَّةُ لِلطَّائِفَةِ التَّجَانِيَّةِ

^{٢٦} ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص ٣٨٨